سلسلة مطويات شبكة بينونة

فوائد قرآنية ٣٠

تحذير القرآن من خطوات الشيطان

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ من حكمة الله التامة أنْ خَلَق على ظهر الأرض أعداءً لبني آدم، يسعون لإضلالهم، وفتنتهم عن دينهم، وتشكيكهم في عقائدهم، وتزيين الشر لهم وتحبيبهم فيه، وتثبيطهم عن الخير وإبعادهم عنه، إلى غير ذلك من طرق الضلال وسبل الانحراف التي يقصدها هؤلاء الخَلْق، وهم الشياطين.

والشيطان عداوته لابن آدم قديمة، ولقد أخبرنا الله في مواضع من كتابه بما أخذه على نفسه من العهد في صدِّ الناس عن سبيل الله، وصرفهم عنه، وترغيبهم في ضدِّه من المعاصي والآثام.

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

والمعنى: أنه ما من طريق يوصل إلى الله ويُقرِّب إليه إلا والشيطان قاعد عليه، ويسعى ليقطعه على مَن أراد الله والدار الآخرة.

يبيِّن هذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ الشيطان قَعَد لابن آدم بأَطْرُقِه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له: أتُسْلِم وتَذَر دينَك، ودين آبائك، وآباء أبيك؟ قال: فعصاه فأَسْلَم.**

ثم قَعَد له بطريق الهجرة، فقال: أتُهاجر وتَذَر أرضَك وسماءَك؟ وإنما مَثَل المهاجر كمَثَل الفرس في الطِّوَل، قال: فعصاه فهاجر.

قال: ثم قَعَد له بطريق الجهاد، فقال: هو جَهْد النفس والمال، فتُقاتل فتُقْتَل، فتُنْكَح المرأة، ويُقْسَم المال، قال: فعصاه فجاهد».

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فمَن فَعَل ذلك منهم فمات، كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة، أو قُتِل كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة، أو وقصَتْه دابة كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة»[1].

وقال سبحانه: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٧-١٢٠].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤].

فهذه بعض الآيات التي كشف الله فيها مقاصد

(١) رواه النسائي (٣١٣٤)، والإمام أحمد (١٥٩٥٨) واللفظ له، وجوَّد إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٩٧٩).

الشيطان، وأظهر فيها طرقه الفاسدة في إضلال بني آدم، وهذا من رحمة الله ولطفه وإحسانه.

ومن فضل الله وعظيم جوده أن نبَّه عباده وحذَّرهم من اتِّباع خطوات الشيطان ومسالكه في أربعة مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

وقال عزَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨-٢٠٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢١].

وخطوات الشيطان هي: طرق إغوائه، وسُبل إضلاله ووساوسه، فيدخل فيها «سائر المعاصي المتعلقة بالقلب، واللسان، والبدن»[٢].

وعلى هذا فكل ما يُمليه الشيطان من الوساوس،

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان للسعدي (ص: ٥٦٣).

ويُزيِّنه من الباطل، ويدعو إليه من الفواحش، ويبثه من الشرور، ويُحسِّنه من الكفر بالله والشرك به، ويُجمِّله من البدع من المحدَثات؛ فإنه داخل فيما نهى الله عنه من خطوات الشيطان.

ومردُّ هذه الخطوات الشيطانية إلى أمرين، وهما أعظم مداخل الشيطان وأشدها على العبد:

- **المدخل الأول:** الشُّبهة.
- **المدخل الثاني:** الشهوة.

فإذا رأى الشيطان من المرء تديُّناً، وميولاً إلى الطاعة، واجتهاداً فيها؛ دخل عليه من باب الشبهات حتى يوقعه في الغلو في الدِّين وممارسة البدع.

وإذا وجد من العبد تفلتاً من الخير، وإعراضاً عن العبادة، ورغبة فيما حرَّم الله؛ أوقعه في حبائل الشهوات وصاده من خلالها.

فعلى مَن وفَّقه الله لتلاوة كتابه، ويسَّر عليه قراءة كلامه أن يكون يقظاً وفطناً لمداخل الشيطان المختلفة، وأن يتدبر كل موضع ورد فيه ذكر الشيطان في القرآن؛ حتى يفهم مراد الله من التحذير منه وبيان شره، مع الاستعانة بالله ومجاهدة النفس، وسلوك أسباب السلامة من كيده ومكره، من الأذكار المأثورة، والأدعية المشروعة، والأعمال الصالحة، والتحصينات الشرعية المباركة، فإنه متى استعصم المرء المسلم بالله جَلَّ وَعَلَا فقد حصَّن نفسه من الشيطان، وصان قلبه من خُبثه وخداعه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وأن يستعين بما بيَّنه العلماء وصنَّفوه في بيان إغواء الشيطان لبني آدم، وسُبل صدِّه لهم عن سبيل الله، ولعل من أنفع الكتب وأوضحها وأقربها كتاب الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان»، ففيه ما يُبصِّر القلب، ويُنوِّر العقل، ويدل الناصح لنفسه على الصراط المستقيم، ويُثبِّته على الحق حتى يلقى الله تعالى.